

## الهجرة النبوية

٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية

ولما رأَت قريش هجرة أصحابه ، وعرفوا أنه صار له أصحاب من غيرهم ، حذروا من خروجه وعرفوا أنه أجمع ؛ لحربهم ، فأجمعوا على قتل رسول الله ، وقالوا ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب ، وانفقوا أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد ، فيجتمعوا على رسول الله فيضربوه بأسيا فمهم ضربة رجل واحد . فلا يكون لبني هاشم قوة بمعادة جميع قريش ، وهذا آخر رأى اجتمعت كلمتهم عليه ، فقد اجتمعوا في دار الندوة في يوم السبت ، وكانوا مائة رجل ، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله حين خافوه ، فقال أبو البختري : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، حتى يصيبه ما أصابهم - فقال آخر : والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتمونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا برأى ، وقال آخر : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت ، فقام من قال : ما هذا برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب ، فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ، ثم يسير

بهم اليكم حتى يظنكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيا غير هذا. فقام أبو جهل فقال: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا وما هو؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتي جلدًا نسيبًا وسيطًا، ثم نمطى كل فتي منهم سيفًا صارما، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فانهم إذا فعلوا ذلك، تفرق دمه في القبائل جميعا، فلا تقدر بنوع عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، فاستحسنوا رأيه وتفرقوا على أن يفعلوا ذلك الذي أشار به أبو جهل، وأتعدوا الليلة التي يجتمعون بها عند باب الرسول ليقتلوه.

ولما جاءت الليلة الموعودة تربعوا بباب رسول الله حتى بنام فيقتلوه، وعلم رسول الله من وحى السماء بما دبروا، إذ جاءه جبريل فقال: لا تبث على فراشك هذه الليلة، فأمر عليا فنما مكانه وتغطي برده الأخضر، فكان على أول من شرى نفسه في الله، ووقى بهار رسول الله. ثم خرج اليهم رسول الله وقد أخذ الله على أبصارهم « ناموا » فلم يره أحد منهم، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس، ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب وهو الغار غار ثور، فأقام آت فقال ما تنتظرون ههنا؟ قالوا محمد، قال قد خيبكم الله، قد والله خرج محمد عليكم، ثم ماترك منكم رجلا حتى وضع على رأسه ترابا وأطلق لحاجته، فأترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فأذا عليه التراب، ثم جعلوا ينظرون عليا على الفراش فيحلفون أنه رسول الله، حتى

أصبحوا فقام على رضى الله عنه عن الفراش ، فلما رأوه جاءوا فقالوا له أين ابن عمك ؟ قال : قلت له أخرج عنا فخرج عنكم ، فطلبوا الاثر فلم يفتهم عليه ، وفي هذا نزل قول الله تعالى ( وإذ يكر بك الذين كفروا ... )

هذا — ولم يقصد رسول الله غار حراء ، ، لما عهدوا من تحننه هنالك فيطلبوه فيه ، وليضلهم أيضا .

أما رسول الله فما علم أن ذهب من الغار متقنما إلى بيت أبي بكر ظهرا ، وكان لا يخطيء أن يأتي هذا البيت أحد طرفي النهار ، إما بكرة وأما عشية ، فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فتأخر له عن سريره فجلس وقال : أخرج عنى من عندك ، قال : يا رسول الله هما ابنتاي ، فقال فانه قد أذن لى فى الخروج والهجرة ، قال أبو بكر الصحبة يا رسول الله ، قال نعم ، فبكى أبو بكر من الفرح ، وكان من قبل يستأذن رسول الله فى الهجرة فيقول له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع أن يكون رسول الله إنما يعنى نفسه حتى قال ذلك ، وكان أبو بكر ذا مال فابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره يعلفهما أعدادا لذلك ، وقال يا رسول الله إن هاتين راحلتين قد كنت أعددتها لهذا ، فاستأجرا رجلا من بكر يقال له عبد الله بن أريقط ( وكان مشركا ) يدهما على الطريق ، فدفعا اليه راحلتيهما فكاتما عنده يرعاهما لميعادهما

لم يعلم بخروج رسول الله إلا أبو بكر وأهله ، وأما على فقد أخبره الرسول بذلك ، وأمره أن يتخلف بمكة حتى يؤدى عن رسول الله

الودائع التي كانت عنده للناس

ثم خرج رسول الله وأبو بكر ليلا من خَوْخَة (باب صغير) في ظهر بيت أبي بكر ، وتمادا إلى غار بثور فدخلاه ، وهو جبل بأسفل مكة يرى البحر من أعلاه ؛ لأن ارتفاعه نحو ميل ، وهو على مسير ساعة من مكة في طريق اليمن ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاة وراعى غنمه أن يريحها عليهما في الغار ليلا ، ليأخذا حاجتهما من لبنها ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما

وأتى أبو بكر الغار ليلا فدخله قبل الرسول لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسول الله بنفسه ؛ أما عبد الله بن أبي بكر فقد قام بما عهد إليه خير قيام ، ولذلك كانت أخبار القوم عند الرسول وصاحبه ، وأما عامر بن فهيرة فكان يرعى مع الرعيان نهارا ، فإذا أمسى أراح عليهما الغنم فاحتلبا وذهبا ، فإذا غدا عبد الله من عندهما إلى مكة ، أتبعه عامر بالغنم ، حتى يعنى عليه

ولما فقدت قريش رسول الله طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها ، وبعثوا القافة إثره في كل وجه ، وشق عليهم خروجه وجزعوا

وظل الرسول وصاحبه ثلاث ليال بالغار حتى سكن عنهما الناس ، وقد ألهم الله حمامتين وحشيتين فوقعتا أو وقفتا على وجه الغار ، وألهم الغنكبوت فنسجت على بابه ، فكان ذلك مما صد المشركين عن دخوله حينما ذهبوا باحثين ، وقال قائل منهم ادخلوا الغار ، فقال أمية بن خلف :

وما أربكم في الغار؟ ان فيه لعنك بوجوه تأقدم من ميلاد محمد : وقالوا أيضا :  
لو دخل الكفر البيهض ولتفسخ العنكبوت

عناية ضل كيد المشركين بها وما مكابدهم إلا الأباطيل  
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول  
قال أبو بكر وهما يريان القوم من داخل الغار : لو ان أحدهم نظر  
إلى قدميه لآنا ، فقال له الرسول : ما ظنك باثنين الله ثالثهما : ولما رأى  
أبو بكر القوم وبخاصة القافة منهم ، اشتد حزنه على الرسول ، وقال  
له : ان قتلت أنا فإنا أنا رجل واحد ، وان قتلت أنت هلكت الأمة ،  
فقال له الرسول : لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته وهي أمته  
على أبي بكر ، وأيد رسوله بجنود من الملائكة ليحرسوه ويصرفوا  
وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته

ثم جاء ذلك البكرى الذى استأجراه بالراحتين ، فقدم أبو بكر  
أفضلها ، فقال الرسول : لا أركب بعيراً ليس لى ، فقال هى لك يارسول  
الله ، قال لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتمتها به ؟ قال كذا وكذا ، قال :  
قد أخذتها به ، قال : هى لك يارسول الله ، فركبا وانطلقا ، وأردف  
أبو بكر عبد الله بن فهيرة خلفه ، ليخدمها فى الطريق ، وأخذ الجميع  
طريق الساحل أسفل من عسفان ،

ومروا بقديد على أم معبد الخزاعية ، فطلبوا الحما أو لبنا يشترونه  
منها فلم يجدوا عندها شيئاً ، فاستأذنها رسول الله فى حلب شاة خلفها  
الجهد عن الغنم ، فاذنت له فاعةقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت ،  
فشرىها منها جميعاً ، ولما جاء زوجها وصفت النبى ﷺ إليه ، فقال هذا

صاحب قريش ، لو رأيتنه لاتبعته

أما قريش فقد عرجوا - وهم يهجمون عن الرسول - على دار  
أبي بكر ، فخرجت اليهم أسماء ، فقالت : أين أبوك ؟ فقالت : لا أدري  
فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشا - فاطم خدها لطمه طرح من جرائها  
قرطها ، ثم انصرف ، ومكث آل أبي بكر ثلاث ليال لا يعلمون أين  
توجه ، حتى سمعوا رجلا يتغنى بأبيات والناس يتبعونه إلى أعلى مكة  
وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حـ لا خيمتي أم معبد  
وهي امرأة من بني كعب من خزاعة ، فلاموا وجهه الرسول في  
هجرته مع أبي بكر وهي المدينة ، وسمعت قريش ذلك المفنى فأرسلوا  
إلى أم معبد وهي بخيمتها فسألوها : هل مر بك محمد الذي من حليته  
كذا ؟ فقالت : لا أدري ماتقولون ، وإنما صافني حالب الشاة الحائل  
( التي لم تلق سنة أو سنتين أو أكثر )

وكان أبو بكر قد احتمل ماله كله معه وهو خمسة آلاف أوستة  
آلاف درهم ، فلما علم أبو جحافة دخل على آل أبي بكر فقال : اني  
لا أرى انه قد فجعكم بماله مع نفسه ، فقالت له أسماء : كلا يا أبت ، انه  
قد ترك لنا خيرا كثيرا ، وما زالت بذلك الشيخ حتى سكن

وجعلت قريش - بعد أن قصد الرسول قصد المدينة - مائة ناقة  
لمن يرده عليهم ، فطمع سراقه بن مالك المدلجي الكناني أن تكون له ،  
فأخذ فرسه وسلاحه واستقسم بأزلامه وقداحه ، فعلى الرغم من أنه  
كان يخرج له السهم الذي يكره ، اقتفى أثر رسول الله وتبعه ، فعثر

به فرسه في الطريق جملة مرات وكانوا يتشاءمون اذا عثرت أفراسهم ، فلم يرعه ذلك ، ولم يثنه عن متابعة الرسول ، حتى أدركهم ، وكان منهم بحيث يراهم ، فعثر به فرسه عثرة ذهب من يدها في الارض ، وسقط عنه سراقه ، ثم حاول الفرس تخليص يديه وعالج ذلك بشدة حتى انتزعهما ، وتبعهما دخان كالأعصار ، فذعر سراقه حينئذ ، وعلم أن الرسول قد منع منه ، وملاً قلبه الرعب . فإهو الا أن أخذ يناديهم ويعرفهم باسمه ويطلب الامان ، ويقول : انظروا الى أكلكم ، فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، أعلم أن قد دعوتما علي ، فادعوا لي ، ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما ، فوقفاه ، فقال الرسول لأبي بكر . قل له : وما تبغى منا ؟ قال : تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك . فكتب له كتابا وألقاه إليه فأخذه فجعله في كنفه ، ورجع الى القوم فلم يذكر شيئا ثلاث ليال ، ثم أخبرهم فلامه أبو جهل حين رجع بلا شيء ، فقال له سراقه .

أبا حكيم والله لو كنت شاهداً لامر جوادى إذ تسوخ قوائمه عامت ولم تشكك بأن محمداً رسول برهان فمن ذا يقاومه ثم كان لكتاب سراقه هذا شأن بعد فتح مكة وحين فرغ الرسول من أمر حنين والطائف ، إذ تقدم به الى رسول الله هنالك ، فقبله الرسول ورضى اسلامه .

أما رسول الله فقد مضى نحو الساحل حتى عارض الطريق العام عند قديد ، وما زال يغذ السير حتى قدم قباء ، على بنى عمرو بن عوف ساعة الضحى - وكان أهل المدينة وماحولها ينتظرون بها على أفواه

الطرق ، حينما سمعوا بمخرجه من مكة ، حتى اذا حميت عليهم الظهيرة آووا  
إلى بيوتهم يستظلون بها ، حتى كانت الساعة التي قدم فيها ، والقوم في مظاهم  
باليوت ، رآه يهودي ، فلم يملك اليهودي نفسه ، وصاح بهم يا بني قيلة  
( الجدة الكبرى للأنصار ) هذا جدكم ( حظكم ) قد جاء ، فخرجوا سراعا  
بأسلحتهم ، فاذا هو في ظل نخلة ، وأبو بكر يظله بردائه فعرفوه  
عود - وأما علي بن أبي طالب فأقام بمكة ثلاثة حتى أدى عن

رسول الله الودائع ، برسول الله فنزل معه بقباء حيث نزل  
وبقى رسول الله بقباء أياما ، وهنالك وضع أساس مسجد لبني  
عوف ، وهو مسجد بقاء ، أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم ،  
ثم أخرجه الله إلى المدينة راكبا واحاته ، وكان أبو بكر شيخا قد أسرع  
إليه الشيب ، معروفا لأنه كان تاجرا يمر على أهل المدينة في سفره ،  
ورسول الله لاشيب فيه ( مع أنه كان أسن من أبي بكر ) ولا يعرف ،  
فقال رسول الله لأبي بكر أله عنى الناس ، فكان إذا لقيه لاق يقول من  
هذا معك ؟ فيقول : هذا يهدينى الطريق : فيظن السائل أنه يريد  
الطريق الحقيقى وهو يريد هدى الاسلام ، ثم ما لبث أن عرفه الناس ،  
فكانت كل قبيلة من الأنصار تلقاه تقول : هلم الينا يا رسول الله ، إلى  
العدد والعدة والمنعة فيقول : خلوا سبيلها فانها مأمورة : (لناقته) ، حتى  
مر بنى عدى بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله هلم إلى أخوالك : (أخوال  
عبد المطلب ) إلى العدد والعدة ، فكرر ما قال لغيرهم ، فسارت الناقة  
غير بعيدة ، ورسول الله واضح لها زمامها ، لا يثنيها حتى بركت أمام  
دار مالك بن النجار ، فى مربد ( ما يجفف فيه التمر ) ليتيمين من بنى

رافع ، ثم ثارت حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري ، ثم ثارت  
فبركت في موضعها الاول ، فنزل ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد  
رحله ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه الرسول ، حتى بنى مسجده في  
المربد ، أبتاعه من ذينك اليتيمين ، وكان يعمل في ذلك بنفسه ليرغب  
المسلمين في العمل ، فعمل الانصار والمهاجرون ، ودخل عمار بن ياسر  
وقد أثقلوه بالبن ، فقال قتلوني يا رسول الله ، فقال له : ليسوا بالذين  
يقتلونك . انما تقتلك الفئة الباغية ، وسقفه بالجر يد ، وجعل عمده خشب  
النخل . وجعلت قبلته الى القدس ، حتى حولت القبلة الى الكعبة .

ولما نزل رسول الله على أبي أيوب نزل في السفلى ، وأبو أيوب  
في العلو ، فرغب إلى رسول الله ان ينزل في العلو ، فقال له الرسول : ارفق  
بنا وبمن يغشانا . وفرح أهل المدينة بقدوم النبي ، ولعبت الحبشة من  
أهلها بحراهم ، وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير ( الاسطحة )  
عند قدومه يقان :

طامع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعا لله داعي
أيها المبعوث فينا	جئت بالامر المطاع

وكذلك قيل هذا عند قدومه من تبوك : وتفرق الغلمان والخدم في  
الطرق ينادون : جاء محمد رسول الله ،

وقد ظل النبي في بيت ابى ايوب سبعة أشهر ، حتى بنى بيوت نسائه  
بجوار المسجد ، وكان باب بيت عائشة يواجه الشام ، وكان قد أرسل  
زيد بن حارثة و ابا رافع إلى مكة فقدمتا بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت

زمنه وأسامة بن زيد وأم أيمن ، وسبقت رقيه مع عثمان ، وتركت زينب عند زوجها أبي العاص حتى أسر بيدر ، فلما من عليه الرسول أرسلها إلى المدينة .

وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله . فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو مجوس ، ولم يوجب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله وإلى رسوله إلا أهل دور مسمون ، منهم بنو جحش وبنو مظعون ، فان دورهم أغلقت بمكة ، وغدا أبو سفيان على دار بني جحش فباعها ، فشكوا إلى رسول الله ، فقال لعبد الله بن جحش ، الا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟ قال بلى ، قال فذلك لك ،

واستجمع لرسول الله اسلام هذا الحى من الانصار ، فلم تبق دار من دورهم إلا أسلم أهلها ، ماعدا جماعة من الاوس ، فأنهم أقاموا على شركهم .

ثم كتب ﷺ كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادع فيه اليهود وعاهدتهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم ، واشترط لهم .

وقد جعل في هذا الكتاب أو في هذه المعاهدة المسامحة من قريش ويثرب ومن تبعهم فلاحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، وأن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان والد أحدكم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وأنه من تبعنا من يهود فان له النصره والأسوة ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين

دينهم مواليتهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُؤتغ ( يُهلك ) إلا نفسه وأهل بيته ... وهكذا بقية اليهود ومع مواليتهم ، لهم ما يهود بني عوف حتى يهود الأوس ، وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين؛ نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر ... وأنه لا نجار قریش ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ... فأبر هذه المعاهدة وأوفاهما .

المؤاخاة - وآخى بين أصحابه من المهاجرين والانصار بما قدومه ، بأشهر ، وقال تأخوا في الله أخوين أخوين ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، وليشد أزر بعضهم ببعض ، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي ، وكان حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ، وكان جعفر ابن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، مع غياب أولهما في الحبشة ، وكان أبو بكر وخارجة بن زهير من الخزرج أخوين ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك من الخزرج أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، وقد عرض الثاني على الأول نصف ماله ، وكان له زوجتان ، فقال : اختر احداهما أطلقها وتزوجها ، والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت من بني النجار أخوين ، وطلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك أخوين ، وهكذا حتى انتهى الرسول من إيجاد هذه الرابطة التي ظلت على الحق والمواساة والتوارث وكانوا (٩٠) رجلا ، من كل طائفة (٤٥) حتى أنزل الله تعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب

الله « فانقطعت المؤاخاة في الميراث فقط ، ثم جعل المسلمين إخوة في التوادد وشمول الدعوة والمناصرة في قوله « إنما المؤمنون إخوة »

ولما اطمأن رسول الله بالمدينة واجتمع اليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الانصار ، واستحكمت أمر الاسلام ، شرع الاذان وفرضت الصلاة والزكاة والصيام وصرفت القبلة إلى المسجد الحرام بعد مقدمه بنحو سنة ونصف ، وقامت الحدود ، وشرع الحلال والحرام ، وتبوأ الاسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الانصار هم الذين تبوءوا الدار والايمان فقام شعراؤهم يتغنون بالقصائد ، يذكرون فيها ما أكرمهم الله به من الاسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم ، فنصبت لذلك أحبار اليهود لرسول الله العدا ، بغياً وحسداً وضمناً ، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف اليهم رجال من الاوس والخزرج ، ممن كان عسى على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق ، على دين آبائهم ، من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الاسلام قهرهم بظهوره . واجتماع قومهم عليه ، فتظاهروا بالاسلام ، واتخذوه جنة من القتل ، وناقضوا في السر وكان هوام مع يهود ، لتكذيبهم النبي ، وجحودهم الاسلام ، وكان احبارهم هم الذين يتعننون في اسئلة الرسول ليلبسوا الحق بالباطل -

ومنهم حبي بن أخيط ، وأخوه أبو ياسر ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأبو رافع سلام بن ابى الحقيق ، وسلام بن مشكم وكعب بن الاشرف ، وعبدالله بن سلام ، وكان جدتهم ( اعظمهم حظاً ) وأعلمهم كعب ابن اسد ، غير ان عبدالله بن سلام اسلم وأمر أهله بالاسلام وكتب ذلك عن اليهود ، ولاذ برسول الله فأواه حتى جاء الاحبار يسألون رسول

متعنتين فخرج إليهم ابن سلام وشهد الشهادتين وأعان إسلامه وإسلام  
أهل بيته ، ومثله مخيرين أخبار العالم الغني الذي كان يعرف رسول الله  
بصفته ، فلما كان يوم أحد عرض على قومه القيام مع النبي تنفيذاً  
للمعاهدة فاعتذروا بالسبب ، فقال لا سبب لكم ، وأخذ سلاحه ثم جاء  
رسول الله ، وأوصى إلى من وراء من قومه : إن قتلت هذا اليوم ،  
فاموالى ل محمد يصنع فيها ما أراد الله ، فقتل وقبض رسول الله أمواله ،  
فعامة صدقات رسول الله بالمدينة منها ، أما من عداها ، فكانوا أهل  
العداوة للرسول وصحبه ، وأصحاب المسألة والنصب لأمر الإسلام  
الشرور ليطفئوه .

وكان ممن انضاف إلى اليهود مالك بن الأوس ، ونبتل بن الحرث  
الذي قال الرسول في شأنه : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر  
إلى نبتل بن الحرث ، وهو الذي كان يقول : إن محمداً أذن ، وعبد الله  
ابن أبي ابن سلول من بني عوف من الخزرج ، وكان رأس المنافقين  
وإليه يجتمعون ، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق : لننرجعنا إلى  
المدينة ليخرب جن الأعز منها الأذل ، وفي قوله هذا نزلت سورة  
المنافقين بأسرها .

وفي هؤلاء الأخبار من اليهود ، وفي المنافقين من الأوس والخزرج  
نزل صدر من سورة البقرة إلى المائة منها .

هذا وبعد سبعة عشر شهراً من مقدمه ﷺ صرفت القبلة إلى  
الكعبة . فثار اليهود ، وقالوا له أرجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعك  
ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه ، فأنزل الله القرآن

بأسفهم ، وفاض اليهود ما كان من اجتماع كلمة الأوس والخزرج بعد تفرقهم ، فهدسوا من ذكركم « وهم مجتمعون في بعض أديتهم » يوم بهات ، وما قيل فيه من الشعر ، فتنازعوا وتفاخروا حتى خرج اليهم رسول الله وقد تواعدوا السلاح والحرب . فذكروهم بالله وبالاسلام . فتابوا إلى رشدهم . وعلموا أنها نزع من نزعات الشيطان . وكيد من عدوهم فبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً . ثم أنصرفوا مع رسول الله مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم . ثم دعا رسول الله اليهود إلى الاسلام ورجبهم فيه وحذرهم غير الله ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فكف عنهم إلى أن نقضوا عهده فقاتلهم على ماسيجي .

واعلم أن رسول الله ﷺ قدم إلى المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبي ابن سلول ، لا يختلف عليه في شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الاسلام ، غيره ، فكان قومه قد نظموه الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم . فجاءهم الله تعالى برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف عنه قومه إلى الاسلام ضغن . ورأى أن رسول الله قد استلبه ملكا . فلما أن رأى قومه قد أبوا إلا الاسلام ، دخل فيه كارها ، مصرأ على نفاق وضغن ، وكان له مع الرسول شئون إلى أن مات منافقا .

هذا وكان قدوم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول ، وهو يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة . وذلك بعد أن بعته الله بثلاث عشرة سنة . فأقام بها بقية هذه السنة

والمحرم من السنة التالية . ثم خرج غازيا في صفر . أى بعد سنة كاملة من مقدمه .

## كلمة

قد اختار النبي لأصحابه - حينما اشتد عليهم الاذى - بلاد الحبشة ليهاجروا اليها ، وعلل لذلك بقوله : ( لان فيها ملكا لا يظلم عنده أحد ) فلماذا لم يشير عليهم بالهجرة الى يثرب باديء الرأي ، أو الى نجد أو الى الروم أو الى فارس ؟

والتعميل لهذا يظهر لدى التأمل فيما نقصه عليك :

(١) أما أهل يثرب إذ ذاك ، فقد كانت لهم مع قريش علاقات اقتصادية واسعة ، لافرق بين العربي واليهودي منهم ، نخشى النبي أن يجاملوا أهل مكة ، فلا يؤوا المهاجرين ولا يقوموا بحمايتهم ، لتلاؤثر ذلك في تجارتهم ، وبخاصة لان النبي لم يقدم الى ذلك المقدمات المهمات ، على أن اليهود من أهل يثرب ، قد بدت منهم العداوة والبغضاء للنبي منذ أوفدت اليهم قريش وفدا - لانهم أهل الكتاب الا أول - يسألونهم رأيهم فيه ، ويتلقون منهم الاسئلة التي زعموا أنهم يتحدون بها رسول الله ويعجزونه .

(٢) وأما أهل نجد ، فكان لقريش من المهابة في نفوسهم ما يدفعهم إلى التعاون مع قريش على النفرة من المهاجرين ، وهذا الى ما بينهم وبين قريش من معاهدات اقتصادية ودينية ، فبنو عامر بن صعصعة كانوا من الحمس كقريش .

(٣) وأما الروم والفرس واتباع الفريقيين من الغسانيين والمناذرة ،

فكانت الاحوال الداخلية عندهم مضطربة اضطرابا لا يؤمن معه على من يهاجر اليهم ، وبخاصة إذا لحظنا أن من بين عوامل الاضطراب الفوضى الدينية ، التي جعلت الناس في الدولتين شيما متعادية متناحرة ، ففي فارس كانت نزعات اله الخير واله الشر : وفي الروم كانت فتن العقيدة في أصل المسيح . فكيف يتأتى لقوم اختلفوا في دينهم ، ان يؤو أهل دين جديد ويقوموا بحمايتهم ، وفيهم من لا يستطيع حماية نفسه ممن يخالفه في عقيدته ؟ (٤) أما الهجرة إلى يثرب بعد ذلك فقد كانت نتيجة ملازمة لأمور حدثت في وقتها ، فقد انتهز المشركون موت أبي طالب ، وقالوا ذهب ناصرهم وحاميهم ، ونالوا من الرسول ما لم ينالوه في حياة عمه ، وبالغوا في أذيته وايداء أصحابه ، حتى اضطروه إلى الاستنصار بقيائل العرب على قومه ليحموه حتى يباغ رسالات ربه ، على ما علمت ، فوجد بعد اللتياء والتي طلبته التي كان ينشدها في النفر الذين اجتمع بهم من الاوس والخزرج في مواسم الحج ، فقد مهد معهم الطريق الذي أدى أخيرا إلى أن يبايروه في العقبة الآخرة على مناصرته ، وحمايته هو ومن تبعه إذا هاجر إلى بلدهم ، وكان من أهم العوامل التي دفعتهم إلى المسارعة بهذه البيعة ، ما كانت تتوعدهم به اليهود من حين إلى حين كما سلف واخلاصة أن فرصة الهجرة النبوية إلى المدينة لم تكن إلا أخيرا ، وبعد أن أظهر أهل يثرب تمام الاستعداد لحماية النبي وأصحابه ، أو بعبارة أخرى ، لحماية الدعوة الاسلامية حتى تتبوأ مكاتها ، وعاندهوه وعاقدهوه على حرب الأحمر والأسود ، حتى يظهر الله الدين الاسلامي على الدين كله ولو كره المشركون

وبعد فهل تحققت آماني للمسلمين بهذه الهجرة وتم لهذا الدين  
الحنيف ما كان ينشده الداعي اليه ﷺ ؟

نعم ، لقد كان الاسلام بمكة يسير سيرا بطيئا ، فلم تك إلا عشية  
أوضعاها والنبي بالمدينة ، حتى أسرع الاسلام ، فعم أطراف الجزيرة  
العربية ، ومنها انتشر إلى الامم الاخرى بسرعة لانظير لها في التاريخ  
وذاك أن رسول الله لبث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو أهلها إلى الاسلام  
فلم يستجيبوا له ، واضلهم الله على علم فناصبوه الشر ، الامن وفقهم الله  
وهدام وقليل ما هم ، وربما كان من أهم الاسباب في تشددهم واستمساكهم  
بالشرك وعبادة الاوثان : ان قريشا كانوا الزعماء الدينيين للعرب عامة  
وكان لهم من وراء هذه الزعامة فوائده حسية ومعنوية ، فهم سدنة البيت  
الحرام ، والعرب تهوى إلى هذا البيت في كل عام من كل فج عميق ، وهم  
أيضا تحتة الاصنام والعرب من قديم تعتبرها وتقدسها ، فاذا جاء الموسم  
عظمت تجارة قريش واتسعت أموالها اتساعا عظيما ، فلو أن قريشا  
اتبعت رسول الله ، لانهارت زعامتها من جهة ، وخسرت الاموال التي  
كان الوثنيون يؤدونها اليها من جهة أخرى

على أنه كان بين بني أمية وبين بني هاشم منافسة في الشرف ،  
نخاف الامويون - وعلى رأسهم أبو سفيان - إن هم اقرؤا للنبي بنبوتة ،  
أن يذهب صيتهم ، وتذهب بنو هاشم بالفخر كلها ،

لهذا وذلك حرصت قريش على ألا يكون للدين الاسلامي شأن  
بين ظهر انبيهم ، فخاربه وحاربوا أهله بكل ما استطاعوا من قوة ،  
لذلك كان سير الدين بمكة بطيئا وكان رسول الله اذ ذلك لا يدعو الا إلى

اصلاح العقيدة، رجاء استئصال قواعد الشرك، بالحكمة والموعظة الحسنة  
والمجادلة بالتي هي أحسن. أما بعد ان استقر في المدينة وكون الجبهة  
الاسلامية بالمواخاة بين المهاجرين والانصار، والمعاهدة بين اليهود  
والمسلمين، فقد أصبح مجال الدين أوسع من اصلاح العقيدة؛ فتناول  
الحلال والحرام، وبين الحدود والاحكام، وشرع الاذان والجماعة  
والجمعة، وأقام حركة التعاون على أساس متين يتبين في فرض الزكاة  
والحض على الصدقات، وتعيين حقوق الفقراء في أموال الاغنياء،  
وتكوين بيت مال للمسلمين تكون منه النفقة عند الطوارئ، واخيرا  
تكوين جيش على استعداد تام لمقاومة قريش إذا استعدت لمناواته  
أو وقفت في طريق دعوته وانتشارها، أو اعتدت على من أجاب الى  
الاسلام، ولو كان لا يزال بينهم في مكة، وهذا هو الجهاد الذي شرعه  
الله للمؤمنين، وفرضه عليهم بعد أن صاروا في عز ومنعة، ليستطيعوا  
أن يرهبوا به عدو الله واعدوهم، ويصبح من يريد الاسلام في مأمن من  
أن يضطهد أو يفتن، وبهذا وحده دخل الناس في دين الله افواجا،  
وبهذا وحده سار الاسلام سيرا حثيثا.

وبعد فلك أن تقول: لولا اضطهاد قريش للنبي وصحبه ما كانت

الهجرة، ولو لم تكن الهجرة، ما تجاوز الدين الاسلامي جدران مكة

## شروع القتال

تمهيد - العادة طبيعة ثانية ، فكل من يتخلق بخلق ، أو ينشأ على عادة ، أو يعتنق ديناً ، أو يلتزم عقيدة ، أو يتبع طريقة درج عليها اهلوه زماناً و مكاناً ، وورثوها ابناؤهم جيلاً فجيلاً ، يعز عليه أن يتخلى عنها الى غيرها بسهولة ، خضوعاً لحكم العادة ، واعتقاداً بأن ماهو عليه هو الحسن ، وأن ما عداه هو القبيح ، الذي لا يليق به .

من جراء هذا كان الناس في حاجة شديدة الى من يؤدبه ويهذب ، وينصح اليه ويعظه ، فاذا عصى قسى عليه ليزدجر ، وخوفه لينزع الى الطاعة ، ويتبع هديه ، ويقطع عن سيء عاداته ، وماورثه مما ينفر منه العقل الحكيم .  
والجماعات كالأفراد ، لا تتحول بدورها عما ألفت ، الا بعلاج على هذا المنوال ، تظهر فيه حكمة الحكماء ، وفطنة الربانيين ، وتجارب الساسة والقادة ، وثمره قواعد التربية وعلم النفس والفلسفة .

وانبياء الله ورسله ربانيون يتلقون الشرائع من الملائكة الأعلیٰ والشرائع الالهية قواعد تربيبية هي المثل العليا في البيان والاقناع ، وليمت من تجارب الناس ، ولا هي بنت أفكارهم وانما هي صحف الله القيمة ، وكتبه المطهرة ، ورحمته المهداة الى خلقه ( أليحسب الانسان أن يتركسدى؟ ) على يد من يصطفيهم من عباده

ومن هنا كانت حاجة البشر ماسة الى النبوة ، وكانت النبوة مفتقرة الى ما يؤيدها من المعجزات وخوارق العادات ، التي تضاهي الافعال الالهية ، ويخرج جنسها ونوعها عن مقدور البشر ، لتكون دليلاً على صدق النبي ووجوب طاعته .  
وللشرائع السموية حدود وأحكام ، ففيها أمر ونهى ، وحظر وابطاح ، وفيها الحلال والحرام ، والنصيحة والزجر ، والثواب والعقاب ، والوعود والوعيد

والحكمة والموعظة الحسنة ، وصاحب الشريعة الإسلامية هو محمد بن عبد الله النبي الأمي العربي الذي أرسله الله تعالى إلى الناس بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه ومراجا منيرا ، ليجمع بهديه القلوب المنفرقة ، ويخضع إلى شريعته النفوس القاسية ، ويوفق بسنته الأحوال المختلفة ، ويسقط التنازع بين الناس في الحقوق المتجاذبة ، ويأمر بطاعة الله وتوحيده ، وينهى عن معصيته والأشراك به ، ويعرفهم مايتعاقى بحقوق العباد لتقديرها واحترامها ، فيتبعوا في شأنها شرعه المسموع ، وينقادوا إلى دينه المتبوع ، الذي لاختلف فيه الآراء ، ولا تتبع الأهواء ، فيكونوا على رغب في الثواب يبعثهم على الخير ، ورهب من العقاب يكتهم عن الشر ، وهذه كلها لا يوصل بغير الدين إليها ، إذ ليس في طباع البشر أن يتفوقوا على مصالحهم من غير وازع ، ولا أن يتناصفوا في الحقوق من غير دافع ، لطبيعة الأثرة التي في نفوس الناس ، وهي التي تجعلهم يحرصون كل الحرص على الاستئثار بالمنافع المختلفة ، وإن حرم سائر الخلق منها إذا تمهد هذا فنقول : —

لما جاء رسول الله قومه برسالته كان موقفهم منه موقف الأمم السالفة من أنبيائها ورسلمها . فصدقه فريق هداه الله ، وكذبه فريق حقت عليه الضلالة ، وقيل له ماقد قيل للرسول من قبله ، وكانوا لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلمهم ، قالوا لعن الله اليهود والنصارى ، لو أننا رسول لنكونن أهدي من إحدى الأمم ( فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ، استكبارا في الأرض ومكر السبي ) وكيف يخضع أبو جهل أو عتبة بن ربيعة أو غيرها من أولى الأمر في قريش إلى محمد بن عبد الله ، ذلك الفتى اليتيم الفقير الذي لا يملك كفاف أهله ، وكيف يصبحون منقادين إلى شريعته وهم سادة قومهم وقادتهم وذوو السكامة العليا فيهم ، وهو لاجاه له ولا مال ولا سلطان ولا سليقة في الشعور ولا شيء مما يكسبه المكانة والمهابة حتى يرقى إلى مستوى الأمر الناهي ؟ وهل يليق

بهم أن يتدينوا بدين يسوى بين الملوك والسوقة في الحق ؟ بل عجبوا أن جاءهم منذ زمنهم ، واستدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة ، لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكا .

ولما تقدم اليهم بمعجزته الباهرة وهى القرآن الكريم ، قالوا ( إن هذا إلا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون .... وقالوا أساطير الأولين أكتبناها فى تملى عليه بكرة وأصيلا ) ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ) ( وإذا قيل لهم أسجدوا لرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا ) ؛ وقد تحداهم الرسول بأن يأتوا بسورة من مثله فأعجزهم ، وعلموا أن القوة البشرية دون مكانته من البلاغة ؛ فكان ينبغى عليهم أن يعتبروا هذا المعجز دليلا على أن القرآن من الله ، جاء على لسان رسول الله ، لكنهم لم يفعلوا وقد علمت ما علموا به رسول الله فى مبدأ الدعوة ، وما كان من حماية عمه أبى طالب له ولدعوته ، وما كان منهم بعد موت عمه ، حتى اضطروه إلى أن يعرض نفسه على القبائل فى الموسم لا يوائمه وحمايته ، حتى أمره الله بالهجرة إلى أهل غير أهله ، ودار غير داره ، بعد أن أجمع ملؤهم على قتله ، ليستريحوا منه فلم يفلحوا ، ومع ذلك كله لم تكف قريش عن ابدائه ، وطلبه حيثما كان ، بل غاظهم كثيرا أنه وجد دارا وفرارا ، فاعدوا لقتاله فى دار هجرته ، ليخرجوه منها كما أخرجوه من مكة ، فما الذى يصنعه رسول الله وموقفهم منه هو هذا ؟ ألا ينبغى عليه - وقد أصبح فى عز ومنعة ومال وسلاح - بعدان لم يكن - أن ينتقم من قريش فيها جهما فى مكة ، ويقضى عليها قضاء أبديا ، أو على الأقل يستذلها ويخضعها ، وبخاصة بعد أن أذن الله له فى القتال بقوله تعالى ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ) وهى أول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية ، وأمر بالصبر كما صبر اولو العزم من الرسل .

لكن رسول الله لم يهاجم ، ولكنه وقف موقف المدافع فقط ، حتى جاءته  
قريش فهاجمته وعند ذلك فقط قام فأنشب القتال دفاعا عن نفسه وقومه ودعوته ،  
وهذا هو الجهاد المشروع في الدين الاسلامي ، وتتسع دائرته فيكون لحماية  
الدعوة الاسلامية والمستجيبين اليها مطلقا ، ولو كانوا في السجون بمكة يعذبون  
ليعبدوا اللات والعزى ( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من  
الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها  
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ) وتتسع دائرة الجهاد في  
الاسلام فتشمل ازالة العقبات من طريق الدعوة حتى تأخذ طريقها المشروع  
لها ، لأنها دعوة حق وعدل وانصاف ، يجب ألا يحول بينها وبين الناس حائل ،  
وتشمل قيام المسلمين بالهجوم على أعدائهم في ديارهم ، إذا علموا أن أعداءهم  
يعدون اليهم ، وذلك قبل أن يهاجمهم في المدينة المنورة ، كما حصل في بني  
المصطلق وغيرهم ، وفي نواحي الروم مثل تبوك ، مما يدل على أن موقف المسلمين  
من مخالفيهم في العقيدة ليس عدائيا وانما هو موقف دفاع لا موقف هجوم  
وان القتال ليس أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم ، وانما الأساس هو  
السلام ، واذن الله تعالى للمسلمين بالقتال لم يك لكره الناس على العقيدة الاسلامية ،  
بل لحماية الدعوة وأصحابها فقط ؛ ولو أن مشركة قريش لم يشوروا في وجه  
الدعوة ، ولم يؤذوا الداعي ، ولم يفتنوا المدعو ، ولم يهاجموا رسول الله حيث  
هو ، ماشهر عليهم المسلمون سييفا ، ولا أراقوا دما

أما اليهود من أهل يثرب وغيرها ، فكان موقفه <sup>صلوات الله</sup> ~~عليهم~~ منهم يختلف عن  
موقفه من قريش ، إذ لم يصبر عليهم بالمدينة ، كما صبر على قريش بمكة ، أو  
يتركها اليهم كما ترك مكة ، لأنه كان بالمدينة قويا كثير الانصار ، ولا كذلك  
كان بمكة ، فقد عاهد اليهود لأول ما دخل المدينة ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم  
ودينهم ، فنقضوا العهد ، وخانوا الميثاق ، وحسدوا رسول الله على ما آتاه

الله من فضله ، وزعموا أنهم شعب الله المختار ، فكان ينبغي أن يكون الرسول منهم ، وأنهم أبناء الله وأحبأوه ، فلا يصح أن يكون الرسول من غيرهم ، ومن أجل ذلك لم يطبقوا كتاب ما أضمروا من العداوة ، بل جاهرُوا بذلك في مواضع شتى : فانتهكوا حرمة الدين والمعاهدة ، في شخص امرأة ، كما حصل من بني قينقاع باعتدائهم علنا على مسالمة قعدت سوقهم لمصلحته ، وخانوا الميثاق فدبروا لقطع دابر المسلمين في شخص نبيهم ، وأرادوا اغتياله ، كما حصل من بني النضير ، حينما ذهب اليهم ليستمعوا بهم على دية من قتلها عمرو بن أمية الضمري ، على مقتضى المعاهدة بين المسلمين وبينهم ، على أنهم خالفوها مرة أخرى قبل ذلك حينما طلب منهم المعونة يوم أحد ، فاعتذروا بالسبت ، ونقضوا العهد بتحزيب الأحزاب أو الانضمام اليهم لحرب رسول الله ، كما حصل من بني قريظة في موقعة الخندق ، على ما سيحكي مفصلا

ومن ذلك يتبين لك أن القتال في الاسلام كان تديرا وقتيا لأسباب خاصة محدودة ، وان شئت فقل : انه كان عملا سياسيا لا أصلا من أصول الدين في بيان العلاقات بين الاسلام وغيره ، وان المسلمين اضطروا اليه اضطارا وحملوه تحميلا ، ودينهم يأبى عليهم أن يقتلوا مخالفيهم في العقيدة لجرد هذه المخالفة ، ويأبى عليهم أن يكرهوا الناس حتى يكونوا مؤمنين ، لأنه علمهم أن العقيدة محلها القلب ، ولا سلطان للقهر على القلوب ، وانما تبني العقيدة على الاقتناع بالحجة البالغة ، والاقتناع بالدليل والبرهان ، في ظاهرا نينة وهدوء وتفكير حر وروية غير مضطربة ، وان اكراه الناس على اعتناق الاسلام والسيوف مصلتة على رقابهم ، لا يحدث الا رفاقا أهل نفاق ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم تقية ليس غير ، ومن ذا الذين يرضى أن يكون من شيعته من لا يخلص اليه ، وهو يعلم أنه إذا وجد فرصة قلب له ظهر المجن ، وقد ينهزم عنه في حومة الوغى فيجرضه ومن معه إلى أشد الأخطار ؟

نعم ، قام الاسلام بالسيف ، ولكن ضد السيف فان الحديد بالحديد يفتح ،  
وما اذن الله لرسوله بقتال المشركين لانهم مشركون ، والا فباله يجعلهم فريقين  
امام سيف الاسلام ، فريقا اوجب عليه ان يقاتلهم وفريقا لاسبيل له عليهم ،  
وذلك في قوله تعالى ( فان لم يعزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكنموا ايديهم ، فخذوهم  
واقتلوهم حيث وجدتموهم ، وفي قوله قبل ذلك ( فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم  
وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سييلا ) والفريقان من المشركين ،  
ولو كان الشرك وحده هو جريمتهم على الاسلام ، لأمره جل وعز بقتال  
الجميع وقتلهم

هذا والجهاد بالمعنى السابق مشروع في كل دين سموي ، وما كان رسول الله  
بدعا من الرسل ، ولا دينه بدعا من الاديان ، على أن الجهاد في الاسلام كان  
على وجه أخف ، فليس فيه : لا تظنوا أني جئت لأتقى سلما ، بل سيفا ،  
وايس فيه : فان لم تسالمك ( يتحدث عن مدينة ) بل عملت معك حربا ،  
فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بالسيف ،  
وأما النساء والاطفال والبهايم وكل مافي المدينة ، فكلها غنيمة لنفسك .... )  
على أن للجهاد في الشريعة الاسلامية شروطا وآدابا ليس هنا محل بيانها

وباستعراض آيات الكتاب العزيز في القتال تتبين جليا أن شرع القتال في  
الاسلام ما كان بالهجوم ابتداء ، ولكنه كان للدفاع ، كما يتضح أن أهل الاسلام  
لا يصح لهم بحال أن يرغموا أحدا من المخالفين على اعتناقه

ومن ذلك : قوله تعالى ( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا  
ان الله لا يحب المعتدين ، وقوله : فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك وحرص المؤمنين  
عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . وقوله : لا اكراه في الدين قد تبين الرشد  
من الغي ، وقوله : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وقوله : ادع الى سبيل  
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقوله : فان عرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظان

عليك الا البلاغ، وقوله: ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة ،  
كانه ولي حميم

وكذلك باستعراض غزوات رسول الله وسراياه ، وكما يظهر فيها الدفاع  
من جانب المسلمين حتى غزوة بدر ، لأن أبا جهل - كما ستعلم - عرض عليه  
أن يرجع وقد نجت العير ، فأبى الا الذهاب إلى بدر ، ولو أن رسول الله رجع  
- وقد علم أن قريشا خرجت - لقوى اعداء الله من قريش ، واستخفوا به ،  
ولطمع فيه يهود المدينة ، وحمالوه وأصحابه ما حملوا من أذى قريش إياهم بمكة ،  
وبعد هذا وذلك لا يكون القول بقيام الاسلام على القتال والسيف وارقة  
الدماء الا مكابرة واتهاما .

وقد ذهب فريق من فقهاء المسلمين والمتصدرين لتأويل آيات القرآن  
المجيد ، إلى أن الاسلام جاء لصالح العالم وطمأنينته فيجب نشره بأى وسيلة ،  
وأجبار المخالفين في العقيدة على اعتناقه ، والا فالخير كل الخير أن يقاتلوا  
ويقتلوا حتى يسمعوا ، وأستدلوا بآيات الله في قرآنه ، وقالوا إن آيات العفو  
والصفح نسختها آيات الأذن بالقتال ، وأن الآيات التي جاءت في القتال مقيدة ،  
نسختها الآيات الأخرى المطلقة .

كما استدلوا بحديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله ،  
فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها .

ومع أن ما ذهبوا إليه قد اتخذته أهل الملل الأخرى طريقا إلى التمدليل  
على همجية الاسلام ، وقيامه على الدماء يسفكها ، وعلى الآمنين في أوطانهم  
بازواجهم وأرغامهم ، فانهم قالوا بالنسخ في آيات أنزلها الله متوالية في وقت  
واحد ، مترابطة متناسبة لغرض واحد ، فكيف يكون المتقدم منها ينسخ  
المتأخر ، أو التالي ينقض المقدم . والحق أنها جاءت يتم بعضها بعضا ، فمنها ما يأمر  
بقتال المقاتل ، فيكون الغرض منها الدفاع لا الهجوم ، ومنها ما يأمر بأن يقاتل

المسلمون كافة كما يقاتلهم المشركون كافة ، ومنها ما يقرر الغابة التي ينتهي اليها القتال كآية الجزية ، ولو أن القتال في الاسلام كان لجل الناس على هذا الدين أو لقتل المخالفين بلا قيد ولا شرط ، ما نهى رسول الله عن قتل النساء والصبان والشيوخ والمرضى والرهبان ، كما خرج الى غزوة أو أرسل سرية .

أما الحديث ، فالمراد من الناس فيه مشركية العرب وحدهم ، لا عامة الخلق ، لم يرض رسول الله منهم شيئاً الا الاسلام ولم يوسط الجزية كما فعل مع غيرهم ؛ وذلك لوجوه : —

(١) أنهم غلوا في عدوانهم على المسلمين . (٢) أنهم أقوى على مناوأة الدعوة من غيرهم لشجاعتهم وقوة بأسهم ؛ فلذلك كان السيف أنعم فيهم وأجدي على المسلمين ؛ حتى يذل العرب ويخضعوا ؛ فتعلم عليهم أوامر الاسلام املاء فلا يجحدوا مناصها من تقبلها مرغمين (٣) أن يكون السيف لجلهم على الاسلام ؛ في نظير قيامهم بحمل الناس على الشرك ؛ وفتنتهم عن دينهم ؛ ولم تجد معهم وسائل السلم مع أنهم الذين بدعوا بالقتال . (٤) لأن دين العرب كان لا يقوم على أساس صحيح يرجي من ورائه للانسانية خير ؛ بل هو خطر على الناس ؛ وما بالك بدين ابتدعهو يعبدون اللات والعزى وهي أسماء ما نزل الله بها من سلطان ( ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) ؛ أو يقول بوأد البنات وقتل الاولاد واستباحة الاعراض ؛ وأكل أموال الناس بالباطل ؛ حقا ان تركهم على هذا مع القدرة جنابة عظمى (٥) انهم وهم أهل الفصاحة وأساطين البلاغة لم يعترفوا صاغرين بأعجاز القرآن العظيم ( بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ) فاذا ألتست المعذرة الى غيرهم من العرب والعجم ؛ الذين لا يقيمون للبيان وزنا ؛ فانه لا يصح أن نلتمسها لهم ؛ لذلك لم يعطهم المسلمون إلا السيف ان امتنعوا عن الاسلام .

أما توسيط الجزية في القتال فلم يك لحمل الناس على الإسلام ؛ بل ان المحاربين كانوا اذا اشتدت عليهم الحرب فانهمزوا ؛ حقنوا دماءهم من المسلمين بأحد الأمرين : فاما الإسلام الذي يجملهم اخوة المسلمين في كل شيء ؛ واما الجزية التي كانت على المغلوب في جميع العصور ، ( سنة الله في الدين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ) وذلك ليستعين المسلمون بها على همايتهم ، على أنهم إذا عجزوا عن تلك الحماية أو قام أهل الجزية مع المسلمين في الحروب ، سقطت الجزية عن دافعها ، ولو أن الغرض حمل الناس على الإسلام ، مارضى المسلمون منهم وقد غابوهم إلا بالإسلام .

وقد قال المتطرفون في شرع انقتال في الإسلام كثيرا ، وكان سنة رسول الله وحده من دون النبيين السابقين ، ومن ذلك أنهم علموا إسلام حمزة وعمر تعليلا غريبا ، وزعموا أن المسلمين أغتبطوا بهما ليجردا سيوفهما في رقاب المشركين لجلهم على الإسلام ، وما كان إسلام حمزة بادي الرأي إلا انفضبه للعصبة فقط ، وما كان إسلام عمر الا لافتناعه بمجزات القرآن الكريم حينما تلاه .

وقالوا كانت حروب المسلمين استهارة ، ولو أنصفوا لقالوا: كانت حروب الأخذ بناصر الشعوب المظلومة أن تظل تنق من جراه العسف والجبروت ، لتعمر بلادهم بهم ، فان الظلم مؤذن بخراب العمران ، بل وما الذي يضير المسلمين - وقد اجتمعت كلمتهم - أن يستنزلوا أهل العسف عن كراسيهم ، ويحلوا محلهم ليحكموا بين الناس بما أنزل الله ؛ وما بالهم لا يتوسعون في الملك والسلطان فمن ذا الذي يحرم عليهم الملك والسلطان ؛ وفرق بين هذا الغرض وبين الحروب تكون للدين ومن أجله فقط .

وقالوا : قد حارب أبو بكر المرتدين ؛ وهو لم يحارب الا المسلمين لا أهل الملل الأخرى ، فهو إنما أراد تطبيق قواعد الإسلام على من دخله ثم ارتد ؛ وقد استن هو والخلفاء الراشدون من بعده سنة نبينهم في غزو الروم والفرس

عظما على الشعبين ورفقا بهما ليرفع ظلم القياصرة والاكاسرة الذي كان قد بلغ  
إذ ذاك أشده .

وبعد فلعلنا في هذه السطور قد بينا أصل شرع انقتال في الإسلام؛ وانتهينا  
إلى أنه كان دفاعا ولم يك هجوما؛ « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من  
ضل اذا أهتديتم » .

ولعلك تستفيد من هذا المملخص :-

(١) لم يؤذن الرسول الله في قتال قبل بيعة العقبة الآخرة، وإنما أمر بالدعاء  
إلى الله وانذار عشيرته والصبر على الأذى والصفح والاعراض عن الجاهلين .  
(٢) ولما هاجر إلى المدينة وعلا شأنه وقوى بالانصار والمهاجرين؛ شرع  
يعترض قوافل قريش؛ ليعوض على المهاجرين أموالهم التي كانت نهبها لقريش  
بمكة؛ وليقطع عن قريش طريق الكسب من الشام حتى لا تنقوى بأموالها في  
الأعداد لرسول الله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم؛  
وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

(٣) ثم أُذن له بقتال قريش ومن انضم إليهم من نصارى العرب وغيرهم؛  
لتعاون الجميع وتحالفهم على رسول الله وخروجهم إليه حيث هو « وقاتلوا  
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة »

(٤) ثم أخذ يخرج لبعض قبائل العرب في جهات شتى ليعلموا أن بالمسلمين  
قوة فلا يحالفوا قريشا ويحالفوه كما في غزوه ودان لوادعة بنى ضمرة من  
كنانة؛ وغزوة العشيرة ليوادع بنى مدلج من كنانة؛ أو ليقترض من المعتدين  
على المسلمين كما حصل من عضل والقاره ومن أهل بئر معونة ومن صاحب  
مؤتة؛ أو ليعاجل العدو الذي يستعد للهجوم على المدينة كما في غزوة بنى  
المصطلق من خزاعة .

(٥) وقاتل اليهود عامة ليؤمن المسلمون من كيدهم وكيد حلفائهم من

المنافقين وقريش ؛ وكثيرا ما حاول اليهود التعنت في أسئلة بتحدونه بها ؛ ليفتنوا المسلمين عن دينهم إذا أحموه ؛ وهذا إلى عملهم المستمر في نقض المعاهدة التي كانت بينهم وبين رسول الله والمسلمين .

(٦) وغزا قريشا بمكة لأنهم نقضوا عهد الحديبية ؛ كما غزا هوازن وثقيفا لأنهم أعدوا له حينما بلغهم أنه انتصر على قريش بمكة .  
وفي هذا كفاية لمن تأمله .

### غزوات رسول الله وسراياه

قد اصطاح أهل السير النبوية على تسمية ما يخرج فيه رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى أعدائهم ، غزوة ، وما يبعث فيه بعوثة من غير أن يصاحبهم ، سرية ، ولكنهم أحيانا يسمون كل خروجة غزوة وقد كانت السرايا والغزوات قبل بدر الكبرى للارهاب ؛ حتى يبين للاعداء أنه أصبح في قوة يستطيع بها الدفاع بله الهجوم ؛ ولذلك كان عدد الذين يخرجون قليلا ؛ من الثلاثين إلى الستين غالبا ، وقد يكونون من المهاجرين دون الانصار ؛ حتى يرى القرشي أخاه القرشي أو قريبه أو نسبه أو حليفه أو مولاه ؛ فتعمل العاطفة عملها في حسن التفاهم . فيحقق بعضهم دم بعض ؛ وتذهب الحفيظة ؛ وتحل محلها صلة الرحم ، فيدخلوا في الاسلام ؛ ويتحقق للمسلمين ما يريدونه من انتشار هذا الدين الحنيف ؛ وهذه أمانى لم تتحقق . إذ لم ترض قريش الاباراقة دماء المسلمين ؛ ولو كانوا من أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم . فلما انتهت غزوة بدر الكبرى بانتصار المسلمين على قريش وكثرة قريش ؛ دوى ذلك في أطراف الجزيرة العربية . فاستعدت القبائل كلها لما عسى أن

يكون بينها وبين رسول الله من قتال  
واعلم أن بين أهل السير خلاف في ترتيب الغزوات والسرايا  
وتقديم بعضها على بعض

هذا ولما أذن الله لرسوله في الجهاد بعد أن استقر بالمدينة ، واجتمع  
عليه أصحابه وقاموا بنصره ، وصارت المدينة دار اسلام ومقلا يلجئون  
اليه ، بعث البعوث والسرايا وغزا بنفسه

وكان عدد مغازيه سبعا وعشرين ، قاتل في تسع منها بنفسه ، بدر  
واحد والمريسيع والخندق وقرية خيبر وفتح مكة وحنين والطائف ،  
على أن مكة فتحت عنوة ، وكانت سراياه سبعا واربعين والسرية  
هي التي تخرج بالليل .

وسنقتصر على أهم ما كان من الغزوات والسرايا

### سرية حمزة - أول البعوث

بعث رسول الله على رأس سبعة أشهر من الهجرة عمه حمزة إلى  
سيف البحر من ناحية العيص . في ثلاثين راكبا من المهاجرين . ليس  
فيهم من الانصار أحد ، فاقى أبا جهل في ثمانمائة رجل من أهل مكة ،  
فلما تصافوا . حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعا للفريقين ،  
فلم يحصل قتال ، وكان ما صنعته الجهني من الحكمة ، لليون الشاسع بين  
الفريقين في العدد ، فكان ميمون النقيبة مبارك الامر .

### غزوة ودان - أول المغازي

ثم سار رسول الله الى ودان بالابواء ، في ستين رجلا من المهاجرين  
يريد قريشا وبنى ضمرة ، فكانت النتيجة موادعة بني ضمرة على أنهم



لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا ، عقد ذلك  
مع سيدهم مخشى بن عمرو الضمري

### غزوة ذات العشيرة

ثم خرج الى ذات العشيرة لبني مدلج بمجبات ينبع ، يريد غير  
قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة ، وكانت قريش قد جمعت  
أموالها في تلك العير ، فخرج اليها ليغنمها ، فوجدها قد مضت ، وهي  
العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر  
الكبرى ، ووادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة ، وكلا من كنانة  
سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش

بعث رسول الله سنة اثنتين عبد الله بن جحش في ثمانية ، وكتب  
له كتابا وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف ، فيرتصد قريشا  
ويعلم أخبارهم ، فسار ، وهناك مرت به عير لقريش تحمل زيبا وأدما ،  
وفيها عمرو بن الحضرمي ، فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من  
رجب ، وإن تركناهم الليلة ، دخلوا حرم مكة ، فأجمعوا على قتالهم ، فقتلوا  
عمراً ، وأسروا رجلين الحكيم بن كيسان مولى عمرو ، والد أبي جهل ،  
وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، واستاقوا العير ، فكانت أول غنيمة في  
الاسلام ، ولما عادوا إلى المدينة ، قال لهم رسول الله ما أمرتكم بقتال في  
الشهر الحرام ( رجب ) ، فسقط في أيديهم ، وعنهم المسلمون ، وقالت  
قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى (يسألونك  
عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ) الآية ، وفرج عن  
المسلمين ، وقبض رسول الله الغنيمة ففرقها على غانمها ، وبعثت قريش

في فداء الاسيرين ، وكذب سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان من أهل هذه السرية قد ضلوا ، فقال رسول الله لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا فاننا نخشاكم عليهما ، فقدمما بعد أيام ، ففداهما رسول الله كل واحد بأربعين أوقية ، وأسلم الحكيم ، وبقي عند رسول الله ، وذهب الآخر إلى مكة فمات كافرا

تحويل القبلة : ثم حولت القبلة إلى الكعبة ، وكان لتحويلها عن بيت المقدس ثورة في نفوس الكفار والمنافقين واليهود ، وقالوا : ( ماؤلام عن قبلتهم التي كانوا عليها ! ) فأمر الله تعالى بجوابهم في قوله : ( قل لله المشرق والمغرب ) ، وقالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه ، وهو يريد أن يرضى قومه ، مع أنهم يعرفون أن قبلة النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل ، قبلة الكعبة ، كذلك هو مكتوب عندهم في التوراة

وتحويل القبلة - وان كان من أمر الله تعالى لا يجب تعامله - له حكم ، منها : ان اليهود كانوا يعيرون المسلمين عند استقبال بيت المقدس ويقولون : لولا أننا أرشدناكم الى القبلة ما كنتم تعرفونها ، وهذا ونحوه كاف لصرف المسلمين إلى الكعبة بناء أبيهم ابراهيم .